تتستر الصدور بخواطر وواردات ومقاصد ونيات، لا ينفذ إليها سمع، ولا يصل إليها بصر؛ فيطلع عليها الحكيم العليم.

وتتكتم الضمائر عن مستودعات الأفكار؛ فلا يعلمها ملك مقرب، ولا نبي مرسل، ولا ولي محبب، ولا عالم جهبذ، ولا شيطان مارد؛ ويعلمها علام الغيوب.

ويلف الجنين بغشاء إثر غشاء في رحم أمه؛ فلا يدرى أحي أم ميت؟ أذكر أم أنثى؟ أشقي أم سعيد؟

لا يدرى أجله ولا رزقه ولا عمره! ويعلم ذلك من أحاط بكل شيء علمًا، ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ٢٨٢﴾[البقرة:٢٨٢].

العِلْمُ: نقيض الجهل.

وربنا ﷻ أحاط علمه بالظاهر والباطن، والإسرار والإعلان، وأحاط بالعالم العلوي والسفلي، وأحاط علمه بالماضي والحاضر والمستقبل، قال ﷻ: ﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمًا ١١٠﴾[طه:

.[١١٠

وهو عالِم ﷻ بكل مَا أخفته صدور خلقه؛ من إيمان وكفر، وحق وباطل، وخير وشر؛ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾﴾[آل عمران:١١٩]، ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾﴾[البقرة:٢٨٢].

النجوى عنده جهر، والسر لديه علانية، والخافي لديه مكشوف.

وَهُوَ العَلِيمُ أَحَاطَ عِلْمًا بِالَّذِي ... فِي الكَوْنِ مِنْ سِرٍّ وَمِنْ إِعْلاَنِ

وَبِكُلِّ شَيْءٍ عِلمُهُ سُبْحَانَهُ ... قَاصِي الأُمُوْرِ لَدَيْهِ قَبْلَ الدَّانِي

لاَ جَهْلَ يَسْبِقُ عِلْمَهُ كَلاَّ وَلاَ ... يَنْسَى كَمَا الإِنْسَانُ ذُوْ نِسْيَانِ

❐ إنه العليم:

الورقة تسقط بعلمه، والهمسة تصدر بعلمه، والكلمة تقال بعلمه، والنية تعقد بعلمه، والقطرة تنزل بعلمه..

علم الحي والميت، والرطب واليابس، والحاضر والغائب، والسر والجهر، والكثير والقليل: ﴿۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾[الأنعام:٥٩].

وحدث بعض الصحابة أنفسهم بحديث لم يظهروه، بل كتموه وأسروه؛ فأنزل الله ﷻ: ﴿عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ﴾

[البقرة:١٨٧].

وأسر النبي ﷺ إلى بعض أزواجه حديثًا، فعرف بعضه وأعرض عن بعض، فقالت: من أنبأك هذا؟ ﴿قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ۝٣﴾[التحريم: ٣].

جلس عمير بن وهب وصفوان بن أمية -بعد بدر- عند الكعبة ليلاً يدبران اغتيال رسول الله ﷺ؛ فأخبر الله ﷻ رسوله بكيدهم، وأطلعه على فعلهم: ﴿ قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٤﴾ [الأنبياء:٤].

وتناجى المنافقون في تبوك فيما بينهم، وهمزوا ولمزوا رسول الله ﷺ والصحابة ﷺ والدين؛ فأطلع علام الغيوب رسوله على كيدهم ومكرهم وسخريتهم؛ ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ۝٧٨﴾[التوبة:٧٨].

❐ علم الله كامل وشامل:

﴿إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ۝٩٨﴾[طه: ٩٨].

ولا يشابهه أحد من مخلوقاته في كمال علمه ﷻ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١﴾[الشورى:١١].

﴿فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُواْ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ۝٢٧﴾[الفتح:٢٧]،

وإذا علم البشر شيئًا فهو من تعليم الله ﷻ لهم، فكل علم شرعي وقدري فمرجعه إلى الله العزيز الحكيم ﷻ؛ ﴿قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾﴾[البقرة:٣٢].

وقال ﷻ: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾[النساء:١١٣].

ولو جمع الناس علومهم وما عندهم من معلومات؛ لكانت ضئيلةً جدًّا بالنسبة لعلم الله الواسع؛ ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾[الإسراء:٨٥].

قال الخضر لموسى عليه السلام لما ركبا السفينة، ورأى عصفورًا قد وقع على حرف السفينة؛ فنقر في البحر نقرةً أو نقرتين، قال له الخضر: "يا موسى! ما نقص علمي وعلمك من علم الله إلا مثل ما نقص هذا العصفور بمنقاره من البحر...".

❐ حقيقة..

واختص ربنا ﷻ بعلوم الغيب: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾[الأنعام:٥٩]، وذكر منها خمسة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾﴾[لقمان: ٣٤].

فهذه الخمسة مفاتيح الغيب التي لا يعلمها إلا الله:

١- علم الساعة: مبدأ مفتاح لحياة الآخرة.

٢- تنزيل الغيث: مفتاح لحياة الأرض بالنبات.

٣- علم الأرحام: مفتاح للحياة الدنيا.

٤- علم ما في الغد: مفتاح الكسب في المستقبل.

٥- علم مكان الموت: مفتاح لحياة البرزخ، وقيامة كل إنسان بحسبه.

وعلم الغيب لا شك أنه أعظم وأوسع من أن يحصر في هذه الخمسة فقط، والإخبار هنا يحمل على: بيان البعض المهم، لا على دعوى الحصر، فالله قال: ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[النمل:٦٥].

ومن زعم أن أحداً يعلم الغيب غير الله ﷻ؛ فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ.

والأنبياء لا يعلمون شيئًا من الغيب؛ إلا ما أخبرهم الله به، تقول عائشة رضي الله عنها: "من زعم أن النبي ﷺ يخبر بما يكون في غد؛ فقد أعظم على الله الفرية!"، ﴿وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُ﴾[الأعراف:١٨٨]، فكيف بمن هو دونهم؟!

❐ حظك منه..

ومن آتاه الله علمًا ولو كان قليلاً؛ فقد رفعه الله ﷻ: ﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ

﴿ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾[المجادلة:١١]، فكيف لو كان عالمًا تقيًّا عارفًا بالله، مؤديًّا حقه؟

فهؤلاء تيقنوا بعلم الله؛ فازدادوا له خشيةً وتعظيمًا، ولذا زكاهم الله من فوق سبع سماوات؛ فقال: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾[فاطر: ٢٨].

فالعلم: أصل الخصال الشريفة، يرقى بالإنسان إلى المنازل الرفيعة..

ولا يصل لهذه المنزلة إلا بالعلم والمداومة على سؤال الله إياه، وامتثالاً بدعاء رسولنا ﷺ الذي علمه الله إياه: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾[طه: ١١٤].

قال ابن حزم رحمه الله: "وأجلُّ العلوم: ما قربك من ربك".

قال ابن القيم رحمه الله: "لولا جهلُ الأكثرين بحلاوة هذه اللَّذة -لذّة العلم- وعِظم قدرها؛ لتجالدوا عليها بالسُّيوف، ولكن حُفَّت بحجابٍ من المكاره، وحُجبوا عنها بحجابٍ من الجهل؛ ليختصّ الله لها ما يشاء، والله ذو الفضل العظيم".

اللهم يا عليم! علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا وزدنا علمًا.